المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي | الإصدار الثاني عشر | تأريخ الإصدار: ٥-٤-٢٠٢٠م
ISSN: 2706-6495

المشهد السّمعي البصريّ التونسيّ مِن عُيوب الاحتكار إلى هِنات التّعدُّد

(التّلفزيون مثالاً)

The Tunisian audiovisual landscape: from the defects of monopoly to the shortages of pluralism, television as an example

اعداد الدكتور: صابر فريحه

كاتب صحفي، باحث تونسي في علم اجتماع الاتصال والميديا متعددة المنصات – تونس

Email: saber.assabahh@gmail.com

ملخص:

رغم أهمية التلفزيون كوسيط جماهيري قوي ظهر في الثلث الأول من القرن العشرين، فإنه مازال يحافظ على قوته وهيمنته ضمن كل الوسائط المستجدة في حياة الجماهير واشباعاتهم، ولا سيما جمهور الشباب الذي يتعاطى مع الوسيط التلفزي عبر المحامل التكنواتصالية الجديدة بأصنافها الإلكترونية كاللوحات الإلكترونية والهواتف الذكية بأجيالها ومختلف تطبيقات الميديا الجديدة ومنصات الميديا الاجتماعية. على أن متغيرات المشهد السمعي البصري ولا سيما التلفزي منذ تأسيسه كمرفق حكومي رسمي زمن الدولة الوطنية بعد الاستقلال، وانتهاء إلى ملامحه الجديدة كمرفق عمومي تنافسه قنوات تلفزية خاصة، يغلب عليها الفوضى والتغرير بالجمهور واللاأخلاقية واللامهنية.. في وقت تعجز الهيئة التعديلية الانتقالية القائمة عن زجر تطاول تلكم القنوات على الجمهور والتلاعب بعقولها، الأمر الذي يقتضي التعجيل ببعث مشروع اتصالي تعليمي للتربية على الميديا، وسد الفجوة الإعلامية التي يتسبب فيها فراغ المشهد الإعلامي والتعليمي العربي من أية مبادرات إعلامية وتعليمية تأخذ في الحسبان حقوق النشء الاتصالية والإعلامية والثقافية ومراعاة خصائصهم العمرية.

الكلمات المفتاحية: التلفزيون، المشهد الإعلامي، التعددية الإعلامية ، أنظمة الميديا، تعليم الميديا.

ISSN: 2706-6495

The Tunisian audiovisual landscape: from the defects of monopoly to the shortages of pluralism, television as an example

Written by Dr. Saber Friha

Journalist, Tunisian researcher on sociology of communication and cross-media - Tunisia

Abstract:

The television as a strong medium is still maintaining its domination despite the emerging media and mass audiences, especially the young people dealing with it through the new technologies in their electronic varieties such as electronic panels, smartphones, applications and social media platforms.

The variables of the audiovisual scene, especially television since its establishment as an official government facility with the national state after independence, to its new features as a public facility rivaled by private television channels dominated by chaos and deceit is challenging the transitional amendment body because this latter is unable to control and stop the manipulative effects of TV which requires the establishment of a communication project for education on media and bridging the media gap(caused by the lack of the educational initiatives that take into account the rights of young people to communication, media and cultural taking into account their age characteristics)

Keywords: TV / media scene / media pluralism / media systems / media education

ISSN: 2706-6495

مقدمة

تؤكد مختلف الدراسات الاجتماعية والاتصالية أن كل من التلفزيون والهاتف والسيارة تظل رغم تباعد أزمان اختراعها نسبيا من "النواقل القوية"، بيد أن التلفزيون ومنذ ظهوره في العشرينات وبدايات بثه في منتصف الثلاثينات يبقى بين كل الوسائط وبوصفه وسيطا شاشويا يبقى الأكثر تأقلما مع المتغيرات التكنواتصالية في عالم الوسائط، فهو شديد التأثّر بالابتكارات التكنولوجية من جهة وهو الأبلغ تأثيرا في الجماهير وصناعة الرأي العام وحشد الآراء يسعى الفاعلون الاجتماعيون وصناع القرار السياسي إلى السيطرة عليه وتوظيفه خدمة لبرامجهم ومصالحهم وسياساتهم، مع استخدامهما كأدوات للتوعية والتثقيف والتعليم والتنمية وترسيخ السياسات القائمة والدعاية للأنظمة وأحزابها وإيديولوجياتها وسياساتها [١]. ومن هذا المنطلق والحرص سعت الحكومات العربية إلى وضع محطات التلفزيون تحت إشرافها المباشر بوصفها مرفقًا تنمويًّا حكوميًّا أوعامًّا، ولازالت غالبها مرجع نظر الحكومات شكلا ومضمونا وتمويلا باعتبارها مرفقا خدميا للشعب، للتعليم والتثقيف والصحة والتوجيه والإرشاد والدعاية.

لذلك ظلت السياسيات العامة بالبيئة العربية والأنظمة القائمة تحكم سيطرتها على المرفق السمعي البصري عموما والمشهد التلفزي بالذات بجعله مرفقا حكوميا وأداة رسمية. على أن المشهد السمعي البصري التونسي لم يشذ عن قاعدة احتكار الدولة الراعية للمرفق الإعلامي التلفزي وحتى الإذاعي باعتبار أن الإذاعة سابقة للتلفزة من حيث الاختراع، وأسبق في الظهور في البيئة الإعلامية العربية والتونسية، بل وأسبق توظيفا من السلطة والساسة منذ الحقبة الاستعمارية مرورا بالتأميم والتعريب والتّونسة لهذه الوسائط منذ نشأة الدولة الوطنية الفتية بعد الجلاء الامبريالي.

ـ أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- إبراز أهمية التلفزيون كأحد أهم وسائل الإعلام الجماهيري التي حافظت على موقعها ضمن أشكال ممارسة الاتصال لدى الجمهور رغم المتغيرات التكنواتصالية الحاصلة زمن الثورة التكنولوجية الرابعة.

- التأكيد على أن التلفزيون مازال يستقطب اهتمام جماهير الناشئة التي باتت أكثر استخداما للوسائط الجديدة وذلك عبر التأقلم الحاصل عبر الإحداثات الجديدة ومنصاتها الرقمية التي تستفيد من محامل شاشوية تتيح تقنيات الفيديو عند الطلب video on demande التي توفرها خدمات مواقع الفيديو وغيرها من المنصات الاجتماعية.

- تحديد أهم المراحل التاريخية التي رافقت ظهور التلفزيون بالبيئة العربية كمرفق سمعي بصري حكومي ورسمي للدولة الوطنية المستقلة.

- تحديد الملامح العامة للمشهد السمعي البصري التونسي والإطار القانوني المنظم له في ظل تشريع احتكاري لمنظومة إعلامية سلطوية تحت دواعي تنموية.

[١]- الموسي (عصام سليمان)، **المدخل في الاتصال الجماهيري**، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، طبعة ٦ مزيدة ومنقحة، ٢٠٠٩، مكتبة الجامعة- الشارقة ، إثراء للنشر والتوزيع-عمان – الأردن، ص ٢٤٤.

ISSN: 2706-6495

- إجراء مسح تاريخي شامل لأشكال البث التلفزي التونسي والأجنبي العمومي والخاص بالفضاء التونسي. مع تسليط الضوء على أول تجربة للبث التلفزي المتخصص بالمشهد التلفزي التونسي وهي قناة ٢١ للشباب وخصائصها ومميزاتها البرامجية والتقنية..

- عرض لمتغيرات المشهد التلفزي التونسي بعد الثورة وما رافقها من فوضى شاملة تنظيميا وممارسات مهنية واخلالات أخلاقية بعد تحرير القطاع السمعي البصري وتكاثر القنوات التلفزية انبجاسًا وأفولا، في ظل ضعف أداء الهيئة التعديلية HAICA وعدم أو سوء تطبيق مقرراتها وإجازاتها.

ـ أسئلة البحث:

يطرح بحثنا الأسئلة الإشكالية والمنهجية التالية:

- ماهي المسارات التاريخية التي رافقت ظهور التلفزيون في إحدى البيئات الإعلامية العربية (النموذج التونسي)، ومدى تأثرها بالنظام الإعلامي القائم انفتاحا وتضييقا، احتكارا وتعددا؟

- أي أثر لتطورات المنظومة التشريعية الإعلامية والاتصالية التونسية قبل الثورة وبعدها في تحرير مبادرات بعث القنوات التلفزية ومآلاتها؟

- ماهي أهم خصائص التجربة التلفزية المتخصصة الوحيدة في المشهد التونسي (قناة ٢١ للشباب) وخصائصها التقنية والبرامجية ومدى شبابيتها؟

- هل ضمن الانفتاح الكمي وتعدد القنوات بعد الثورة قيمة مضمونية وكيفية ترتقي إلى مستوى انتظارات الجمهور وإشباعاته؟

- أي دور للهيئة التعديلية الدستورية القادمة (هيئة السمعي البصري) في إحكام تنظيم القطاع السمعي البصري وتنقيته من الفضى الأخلاقية والإخلالات القانونية تحت غطاء التعددية وتحرر المبادرة الإعلامية في تونس الجديدة؟

ـ أهمية البحث:

يستلهم البحث تميزه من إجرائه لأول مسح تاريخي لحضور التلفاز في المشهد الإعلامي التونسي مع تسليطه الضوء على أهم الفواعل التاريخية والقانونية التي حددت ملامح ذلك المشهد بين السيادية الوطنية والتبعية الأجنبية. كما أن الدراسة فصلت البحث في خصائص أول تجربة تلفزية متخصصة وموجهة إلى جماهير الناشئة التونسية رغم أنها نشأت في ضوء نظام إعلامي احتكاري وسلطوي ورسمي. كما أن الدراسة تولت التنبيه إلى أن المشهد التلفزي التونسي الجديد بعد الثورة رغم تعدديته لا يقل مخاطر على جمهور المشاهدين في ظل الإخلالات القانونية والأخلاقية مع غياب نوايا صادقة وصريحة لسد ثغرات تعليمية تونسية لمناهج التربية على الميديا في المنظومة التعليمية التونسية، وافتقار المشهد من أي وعاء سمعي بصري يأخذ في الحسبان حقوق الناشئة الإعلامية والاتصالية والثقافية وخصائصها العمرية.

ISSN: 2706-6495

١- في أهمّية التّلفزيون:

لقد أحدث التلفزيون ثورة اجتماعية ومعرفية وثقافية متعددة الأبعاد، غير أنه قُوبل بالنّقد والاعتراض من البعض حتى قيل عنه "إنه أفيون الشعوب"، و اعتبر البعض أنه ليس سوى شاشة خادعة تخدر عقول الناس فيحملقون فيها كالمأخوذين ولا يتبادلون فيما بينهم سوى الكلمات التي تدعو إليها الضرورة الملحة فينعدم التواصل بينهم. إلا أن أخر من الباحثين رأو في التلفزيون أنه "قوة تعليمية وديمقراطية عظيمة فهو يعلم الشعب ما يجري في العالم ويطلعه على أحداث بلاده" [٢].

ومن هذا المنطلق يميّز **الدّكتور المنصف الشّنّوفي** التلفزيون على بقية الوسائط الأخرى بأنه أبلغ في التأثير والتوجيه باعتبار تملكه لحاستين من حواس الإنسان وهما السمع والبصر، بتقدير أن الصورة أعمق في الإقناع وأبعد جاذبية في كيان المستهلك التلفزي. إن التلفزيون كوسيلة اتصال بالغ التنوع، لا يخاطب العين أو الأذن فقط، ولا ينحصر على العقل والوجدان.. بل يخاطب الشعور والعاطفة والغرائز ويسترجع صور الماضي والخبرات القديمة فيسيطر على قلوب الجماهير ويجتذب انتباههم.. والتلفزيون لا يقف عند حدود جغرافية وثقافية أو سياسية محددة بل يتخطاها حتى يصل لكل المجتمعات ويربط بعضها ببعض" [٣].

إن خصائص الانتشار والتأثير الواسع على قطاعات الجماهير المستهدفة تجعل من "التلفزيون" في حد ذاته "سلطة" توجيه لدى من بيده سلطة القرار، أو بالأحرى قرار لسلطة. ذلك أن طبيعة الاتصال التلفزيوني وبثه المباشر وصورته التي تشد الأبصار بالإبهار يزداد إغراؤها بتقنيات الرقمنة في الألوان والصوت، والفورية للبث عبر الأقمار الصناعية. كل ذلك يفرض حتما سلطة التلقي بدل فعالية الحضور. كما يفرض اتصالا مباشرا بين المشاهد والحدث دون التغافل عن التأثيرات النفسية. والملاحظ بالخصوص أنه كان لظهور التلفزيون دور المنافس الأول للمدرسة والبيت كما كان له مساس بالوعي والتكوين، ومازال تأثيره بليغا في مسار عملية التغيير المجتمعية [٤].

٢- التلفزيون وجمهور الناشئة

وعلى اعتبار أن الناشئة أطفالا وشبابا هي الشرائح الأكثر تعرضا لتأثير التلفزيون فإن التجارب والبحوث بينت أن لهذه الوسيلة دورين تربويين اجتماعيين إيديولوجيين مختلفين. فهي إيجابية وسلبية في آن لما تفرزه من تغييرات في الاتجاهات السلوكية والأخلاقية والقيم لجمهور ما. على أن هذا المنحى وإن كان ذا اتجاهين على طرفي نقيض، فهو في باب تفجير الطاقات الإبداعية الخلاقة للشباب يعد وسيلة مثلى أوقع في النفس وأدرك للمقصود[٥] . ومن ثم يبقى تأثير التلفزيون في جمهور الناشئة أبلغ وأعمق من تأثيره في الكبار لطبيعة مراحل النمو ذاتها (الجسمي والعقلي والعاطفي...) حيث تكون هذه الفئة أكثر قابلية للتعلم والتأثر بالإضافة إلى ما يتضمنه التلفزيون من درجات عليا من التّحفير والتّأثير والإشارة، فيتوحد المشاهد الناشئ مع ما يشاهد، ويضيف إلى معارفه من مشاهداته، ويصوب الخاطئ منها، ويكمل الناقص منها وينمي آفاقه المعرفية. "ولا تخفي مخاطر البث في المراحل النشأة والتكوين إن استغل التلفزيون كوسيلة للتوجيه المخادع غير البريء" [٦]. لذلك نحتاج اليوم أكثر إلى حسن استغلال المنتوج الإعلامي لهذه الوسيلة وإلى تنمية مهارات المشاهدة الإيجابية والناقدة لدى جماهير الناشئة.

---

[٢]- **موسوعة المعرفة** – شركة إنماء النشر والتسويق / مادة تلفزيون – جينيف، (١٩٨٧)، ص ٩٥٠.
[٣]- الشّنّوفي(المنصف) وآخرون، **دراسات إعلامية**، ذات السلاسل الكويت، ١٩٩٥، ص ٢٠٩.
[٤] - **مرجع اليونسكو لتدريس العلوم والتكنولوجيا خارج المدرسة** – اليونسكو- بيروت (١٩٨٦) ص ١١٦.
[٥] - فريحة (صابر) : **النشرة الإخبارية لقناة (٢١) بين حدود الأداء والاستقبال**: مذكرة شهادة الدراسات العليا في الصحافة: معهد الصحافة وعلوم الأخبار (IPSI)، تونس (١٩٩٧-١٩٩٨) ص ١٩.
[٦]- رمضان (كفاية)، **تربية الطفل من خلال وسائل الإعلام**– مجلة الإعلام العربي / العدد (١٣-١٤) الألكسو– تونس (١٩٨٨) ص ٢٠٤.

ISSN: 2706-6495

٣- نشأة التلفزيون في البيئة العربية

يلاحظ دارسو الاتصال أن منطقة العالم العربي تأخرت بما يزيد عن حوالي العقدين حتى تشهد الخدمة التلفزيونية الأولى في الخمسينات، فقد بدأ تأسيس أولى محطات التلفاز في الخمسينات من هذا القرن، وقد أنشئت أولى المحطات في ذلك الوقت على يد السلطات الاستعمارية في العراق ولبنان والجزائر تباعا سنة ١٩٥٦، أما خليجيا يعتبر تلفزيون الكويت أول محطة تلفزيونية رسمية لدول الخليج العربي منذ ١٥ نوفمبر ١٩٦١ ثم توالى إنشاء المحطات التلفزيونية في باقي الدول العربية. وبين منتصف الخمسينات والسبعينات أصبحت كافة الدول العربية تمتلك إرسالا منتظما، فيما تأخرت التجربة التونسية نسبيا إلى العام ١٩٦٦. أما من الناحية المضمونية فنلاحظ أيضا أن نقص وضعف الإنتاج البرامجي المحلي اضطر تلك القنوات العمومية والحكومية إلى ملء ساعات البث ببرامج ومضامين مستوردة من خارج الوطن العربي وبخاصة الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا. ولا يخفى تأثير مضامين البرامج المستوردة على شخصية وتهديد هوية وثقافة المشاهد العربي إذ "بلغت نسبة البرامج الأجنبية في محطات التلفزيون العربية ما بين ٤٠ و ٦٠ % من مجموع ما يقدم من ساعات الإرسال"[٧] ، وهذه نسبة عالية لمضامين اكتظت بأغرب أنواع الاغتراب والفقر الذّهني والتّغريب والمسخ الثقافي، لشخصية وهويات أبنائنا وشبابنا وأسرنا، وأخطر من ذلك أن أصبح معظم الإنتاج الثقافي العربي تبعا لهذا التقليد محاكاة للغرب ومسايرة بعض الوصفات المفتعلة دون التأكد من طرق الاستعمال أو تقدير أبسط مقومات الحياة أو واجب الاحترام للمتفرج المحلي المستهدف أو المشاهد العربي"[٨].

٤- البث الفضائي الرقمي وطفرة التلفزيونات العربية

إن ظاهرة سوتلة البث التلفزي ورقمنته أفضت إلى تعاظم مهول لعدد قنوات التلفزيون الفضائية العربية أوالنّاطقة باللّغة العربية إلى درجة التساؤل عن غائيات التنموية والثقافية التي تقف وراء هذا الاكتظاظ والفوضى التلفزيونية المركزة بالمنطقة العربية بالمقارنة مع بقية الفضاءات الجغرافية، إذ تجاوز عددها الـ ٧٣٣ قناة، وفقا لتقرير اتحاد إذاعات الدول العربية حول القنوات الفضائية العربية نشر في العام ٢٠١٠، فضلا عن أن برمجة القنوات الأرضية عادة ما كانت لا تختلف كثيرا عن مضامين البث الفضائي في عدد محدود من الدول حيث استغنت غالبية المؤسسات الرسمية والعمومية في البيئة العربية عن البث الأرضي[٩]. ويعتبر هذا الرقم مرتفع جدا بالقياس إلى المشهد التلفزي العالمي إذ يبلغ عدد القنوات الفضائية في العالم تجاوز الخمسة آلاف قناة، منها (٣٢١٢) قناة غير مشفرة، و(٥٢٠) قناة من إجمالي هذه القنوات عربية. حسب ما كشف عنه الدكتور عاطف العبد، أستاذ الرأي العام ووكيل كلية الإعلام بجامعة القاهرة والرئيس الأسبق لمركز بحوث الرأي العام سنة ٢٠٠٩ .لكن هذا الرقم سجل قفزة قياسية صادمة ليتضخم فائض عدد القنوات العربية بسرعة قياسية سنة ٢٠١٥ إلى ما يناهز ١٣٩٤ قناة فضائية تتولى بثها، أو إعادة بثها، هيئات عربية عامة وخاصة حسب إحصائية لاحقة نشرتها نفس الهيئة العربية في تقرير لاحق صادر عنها نشر بتونس خلال شهر مارس سنة ٢٠١٥. وحسب ذات التقرير فإن المشهد التلفزي العربي يضم ١٠٩٧ قناة خاصة عربية وأجنبية و١٣٣ قناة عمومية عربية، مع وجود قنوات عمومية أجنبية تبث باللغة العربية أو غيرها من اللغات. وأوضح التقرير السنوي المذكور حول البث الفضائي العربي، الذي أصدره اتحاد إذاعات الدول العربية من مقره بالعاصمة التونسية مؤخرًا، أنه رغم العدد الكبير للقنوات الفضائية فإن السمة الطاغية لمشهد الفضاء العربي هي تقلص موقع القنوات العمومية العربية لفائدة القنوات الخاصة والدولية الموجهة إلى المنطقة العربية.

---

[٧] - أبو زيد(فاروق)، **انهيار النظام الإعلامي الدولي**، دار عالم الكتب ،-٢٠٠٠- ص ١٤٠ .
[٨] بو حديبه (عبد الوهاب)، ***لا فهم – فصول عن المجتمع و الدين***، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٩٢ ، ص ص٨٨ – ٨٩.
[٩] - صفوري (أمجد عمر) ،**" المدخل إلى الإذاعة والتلفزيون"** ، كلية الصحافة والإعلام - جامعة الزرقاء، الأردن، دت، ص ٦٣.

ISSN: 2706-6495

إنّ "منطق الهيمنة والقطبيّة"[١٠] زمن الثورة الإعلامية الجديدة [١١]، كان وراء ظهور تيّار معاكس يدعو إلى الّتفكير في قضايا المحلّية المتّصلة بالتّربية والتعليم والثقافة والاتصال، حيث تعددت المبادرات الإقليمية في هذا الاتجاه من قبل الدول السائرة في طريق النمو، بقصد التأكيد على احترام خصائص الهويّة والذاتيّة الوطنيّة والخصوصيّة الثّقافية في حقبة ما يعرف بالتعميم الإعلامي[١٢] . فانبجست بالتالي وفي سياق اتصالي جديد القنوات التّربوية المتخصّصة أوالموجهة للنّاشئة، مثل قنوات الشّباب وتلفزيون الأطفال، أوالقنوات التّعليمية كبدائل اتّصالية جديدة تربويّا و ثقافيّا.

٤ـ ملامح أولية للمشهد السمعي البصري التونسي

في خضم المتغيرات الميدياتيكية الدّولية والتّحولات الحاصلة في مجالات الاتصال الإعلام وعالم الوسائط منذ تسعينات القرن العشرين، شهدت الساحة الإعلامية بالبلاد التّونسية انتقالا بطيئا ولكنه نوعيّا باتجاه خرق "السّتار الاحتكاري" السّلطوي في القطاع السمعي البصري، اتسم في البدء نحو توسيع الفضاء الإعلامي الإذاعي والتّلفزي حتى وإن كان ذلك شكليا ووفق مزاج سياسي رام بشكل من الأشكال التخفيف على السلطة السياسية من ضغط الشارع وغلوائه المتأهب للانفجار أو التفجير عن بعد... بحيث نُمط الجمهور التونسي طيلة ثلاثة عقود على منوال اتّصالي احتكاري طبعته ردحا طويلا قناة تلفزيّة وحيدة لم يتغير في الغالب سوى اسمها (التلفزة التونسية – أت ت – ق٧- قناة تونس٧..). ولكن قبل حوالي العقدين من الزمن انطلق بث قناة ٢١ كقناة متخصصة في برامج الشباب رفع منذ تأسيسه شعارا رسميا (تربية، تعليم، تكوين، إعلام، ثقافة، ترفيه) سنة (١٩٩٤) [١٣]. وبالتّوازي مع ذلك عاش المشهد السمعي البصري التونسي حالة من التآكل الذاتي للمنظومة الاحتكارية خارج المواضعة القانونية الرّسمية – مجلة الصحافة / مجلة الاتصال- بعد انطلاق بث خاص لإذاعات خاصة جديدة في حينها، إذاعة (موزاييك) ثم إذاعة (جوهرة) فـ(الزيتونة) و(شمس) و(إكسبريس).. فضلا عن انطلاق مبادرة تلفزية خاصة (حنبعل) تلتها (نسمة)... وتحديدا لذلك شهد النصف الثاني من التسعينات توسيعا للمشهد السمعي البصري التونسي في إطار إعلان اللاّمركزية الإعلامية (إذاعتي الكاف وقفصة ١٩٩١ / إذاعة تطاوين ١٩٩٣، وجميعها إذاعات جهوية حكومية آنذاك)، أو في إطار فسح المجال أمام الخواص (قناة الأفق ١٩٩١/ إذاعة الموزاييك ٢٠٠٣/ قناة حنبعل ٢٠٠٥/ إذاعة جوهرة ٢٠٠٥/ قناة نسمة ٢٠٠٧..)، فضلا عن اتساع المشهد السمعي البصري بعد الثورة إلى ما عدده ١٣ قناة تلفزية أغلبها خاصة باستثناء قناتين تمثلان المرفق العمومي السمعي البصري، علاوة عن ٥٠ محطة إذاعية الغلبة فيها للخواص والجمعياتي. رغم أن هذا التّوجه أو الضّرب من ضروب الانفتاح الإعلامي، الذي جاء للتّنفيس عن السلطة من حالة الغليان والاحتقان الدّاخلي، والضغط والتّأثير الخارجي، استجابة للسّياسات الغربيّة التي كانت حينها تروج لمفاهيم الديمقراطية والدفاع عن المعايير الحقوقية في طابعها الكوني، وفق مزاج مؤقت لتلك السياسات المتقلّبة، فإنّ نشأة الأوعية الإعلامية الجديدة في تونس حينئذٍ اتسمت بطابع الموالاة لأقارب العائلة الحاكمة ومن يدور في فلكها. ولعلّ ذلك مردّه فشل تلك السّياسات الاتّصالية من تاريخ النّظام السّياسي القائم في إتاحة الفرصة - وإن بأساليب الضبط والرقابة التي طبعت المرحلة- إلى مبادرات لقنوات تلفزية أو محطات إذاعية متخصّصة، أو حتى ذات صبغة عامّة، كان من المفترض أن تسدّ الثّغرات الإعلامية والنّقائص البرامجية في أغراض رياضيّة أو تعليميّة أو إخباريّة أو ثقافيّة أو دينيّة أو وثائقيّة..

---

[١٠]- بن رمضان (يوسف)، ***"النشء وثقافة الصورة ثقافة المدرسة في المجتمع العربي المعاصر: العلاقات و الأدوار"***، المجلة التونسية لعلوم الاتصال العدد(٢٣)، تونس، جانفي- جوان(١٩٩٣)، ص٢٩.

[١١]- حدثت الثورة الأولى مع ظهور المطبعة، والثورة الثانية مع ظهور وكالات الأنباء، أما الثالثة فمع ظهور الإذاعة والسينما والتلفزيون، أما الثورة الرابعة فهي التي رافقت المعلوماتية والاندماج مع الإنترنت والتي أفرزت الميديا الجديدة والميديا الاجتماعية.

[١٢]- فريحة (صابر): ***النشرة الإخبارية لقناة ٢١ بين حدود الأداء و الاستقبال***، مذكرة شهادة الدراسات العليا في الصحافة (IPSI) (١٩٩٨) ص٢.

[١٣]- الغربي (مراد): ***قناة الشباب في تونس قراءة في دوافع النشأة ومحاولة تقييميّة***، رسالة ختم الدروس الجامعية، (IPSI) (١٩٩٥) ص١٠.

ISSN: 2706-6495

في أدنى سياقات ومعايير مثلث الرّسالة الإعلامية التقليدي- {إعلام/ ثقافة/ ترفيه}[١٤]. لكن تَلَتْ تلكم المرحلة حالة من التّعددية الإعلامية الفعليّة المشاكلة لحالة الفوضى الاتصالية مظاهر ومحتوًى، ناجمة عن واقع الارتجاج الثوري المقتصّ لنفسه من وقائع التّضييق والتّعتيم الإعلامي ما قبل ثوري، فتصاعدت المشاريع الإعلامية المُتلفزة التي بلغت عدد التّسع والثلاثين قناة تصورًا أو تنفيذًا أو إجازةً أ واحتجابًا أو حجبًا.. من قبل الهيئتين التعديليتين الناشئتين إبان الثورة. هكذا إذن تسارعت بداياتها ونهاياتها، ظهورا وأفولا. مشهد إعلامي تونسي استثنائي ألقى بظلاله الدّاكنة على الجماهير العريضة لشّاشة الفضّية في مجتمع شاب متحرك، صنعت شبيبته ثورة كانت فيها الوسائط الإلكترونية سلاحا، والميديا الاجتماعية محملا، والصورة وتقنياتها شكلا غالبا، ومضمونا مؤثرًا، بالغ الأثر والتّأثير. ومن وراء ذلك أدفاق تلفزيونية مجهولة الهَوَى والهُوِيّة باتت تتحكم في المزاج العام، وتنمّط أساليب العيش، وتخترق المتواضع الثقافي، وتستدرج النّشْء إلى مساحات سحرية افتراضية أولعلها واقعية، لكنها شديدة الغموض قاتلة للوقت، هادرة للمعنى، لمرحلة لم تكتف بأن تتجاوز ما بعد بعد الحداثة، بل هي آلية حاسمة وأداة نافذة لاجتياح الفضاء العام لما أريد له أن يُسمّى بـــ"ما بعد الحقيقة" [١٥] ، وما هو في نظرنا سوى حقنة جديدة تحت جلد البشرية، وتمريرا ليّنًا لمشروع "ما بعد الإنسانية".

٦- تاريخ المشهد الإعلامي السمعي المرئي في تونس: (تاريخ البث التلفزي في البلاد التونسية)

أوّل مؤسسة وطنية تونسية للإذاعة و التلفزة (١٩٦٠)

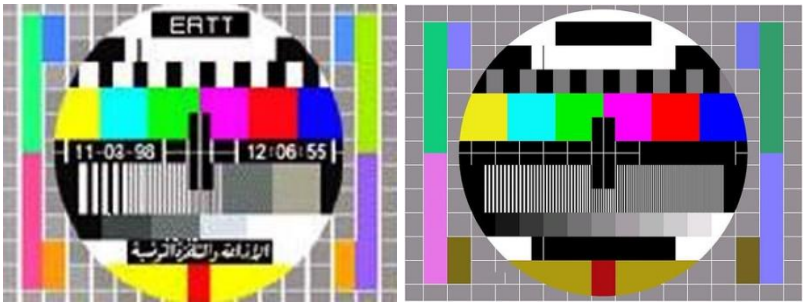

١,٥- إرهاصات التلفزة في تونس

تعود فكرة إنشاء محطّة تلفزية في تونس إلى اتفاقية سنة ١٩٥٣، وبمقتضى هذه الاتفاقية يعبّر باي تونس عن رغبته في إنشاء شبكة تلفزية بالبلاد التونسية كما تنصّ الاتفاقية على تبعية الإذاعة التونسية الناشئة إلى الإذاعة و التلفزة الفرنسية في مقابل تعهّد فرنسا باستخدام ٢٥ % من الأعوان ذوي الجنسيّة التونسية،

[١٤]- فريحة (صابر): ***"الفضاء السمعي البصري في تونس من نظرية الاحتكار إلى واقع التّعدد والتّخصص"***، الشعب العدد ٨٨٤ تونس - ١٧-١٢-٢٠٠٥ ص١٨.

[١٥] - تبنى قاموس أوكسفور الإلكتروني عبر موقع قواميس أوكسفورد، الذي تديره جامعة أوكسفورد مصطلح ***"ما بعد الحقيقة" post-truth*** معتبرا إياها المفردة السياسية للعام ٢٠١٦، بعد أن ارتفع استخدامه بنحو ٢٠٠٠% مقارنة بعام ٢٠١٥، ويعرف المعجم الإنقليزي الشهير "ما بعد الحقيقة"، "post-truth" أنه صفة "ترتبط أو تشير إلى ظروف تكون الحقائق الموضوعية فيها أقل تأثيرًا في تشكيل الرأي العام من التوجه إلى العاطفة والإيمان الشخصي."

ISSN: 2706-6495

كما تتعهّد فرنسا بإقامة الشبكة التلفزية مع استفادتها بنسبة ٧٥ % من الضريبة الموظّفة على أجهزة الالتقاط التلفزي، لكن هذه التعهدات لم يقع احترامها باعتبار دخول تونس في مرحلة التفاوض من أجل التخلص من ربقة الاستعمار[١٦]. بصورة إجمالية فإن التلفزة العمومية التونسية تراوحت في سياسات إدارتها من قبل الدولة والحكومة بين اعتبارات الإعلام الرسمي الحكومي قبل الثورة، والإعلام العمومي بعد الثورة، في تعاقب إدارتها المباشرة من الحكومة في بداية انبعاثها، إذ كان إشرافها بين سنتي ١٩٦٦ و١٩٩٠ يتبع الإذاعة والتلفزة التونسية، ثم بين ١٩٩٠ و٢٠٠٧ أحيل إشرافها إلى **مؤسسة** الإذاعة والتلفزة التونسية، على أن قرار الفصل بين مرفق الإذاعة و مرفق التلفزة في العام ٢٠٠٧ آل إشرافها مؤسسة التلفزة التونسية.ولقد عرف المشهد السمعي والبصري بتونس مراحل مختلفة سبقت انبعاث القناة الوطنية التونسية، حيث كان الحضور التلفزي الأجنبي بالفضاء التونسي سابقا للبث الوطني، إلى أن أعقبتها تطورات هامة في اتجاه ترسيخ تعددية سمعية بصرية شكلية في البدء إذ لم تستند إلى غطاء قانوني بقدر استنادها إلى تبريرات سياسية اقتضتها المرحلة وإدراجاتها ودواعيها، ثم باتت تعددية فعلية ولاسيما بعد الثورة لاستنادها إلى إجازات الهيئات التّعديليّة الناشئة[١٧].

٢,٥- البث التلفزي الأجنبي في تونس (١٩٦٠ – ١٩٩٢).

تراوح بين المبادرة الإيطالية والفرنسية العمومية والبث الخاص الفرنسي على النحو التالي:

١,٢,٥- البث التلفزي الإيطالي في تونس (١٩٦٠)/ القناة الإيطالية الأولى (RAIUNO)

١٩٨٣ - ٢٠٠٠ 2010 - 2000 2016 -2010 25 أكتوبر ٢٠١٣ - ١١ سبتمبر ٢٠١٦

انطلاق من ١٢ سبتمبر ٢٠١٦

لم تتحقّق الرغبة التونسية في إدخال البث التلفزيوني إلى التراب التونسي إلا بعد الاستقلال فبمناسبة تنظيم الألعاب الأولمبية في روما، وبعد مداولات رسمية متواصلة منذ بداية الستينات تم اقتناء تجهيزات بث إيطالية عام ١٩٦٠ لعرض برامج القناة الأولى للتلفزة الإيطالية (RAIUNO) التي انطلق بثها منذ ١٥ أوت ١٩٦٠ مع اقتصار بثها على العاصمة وأحوازها ، على أن اتفاقية ٠٧ ديسمبر ١٩٨٤ عززت البث الإيطالي في تونس، وذلك بتنصيصها على تعميم تغطية البث التلفزي الإيطالي على كامل التراب التونسي بعد أن كان حكرا على العاصمة والمناطق القريبة منها. وذلك في مقابل توفير التجهيزات اللازمة لهذا البث وإنشاء أستوديو عصري للإنتاج التلفزي بوحدة الإنتاج التلفزي بصفاقس.

غير أن الإرسال الإيطالي توقف بعد ذلك، وفي سنة ١٩٩٠ تمّ إبرام اتفاقية جديدة لتعزيز التعاون بين الإذاعة والتلفزة التونسية والإذاعة والتلفزة الإيطالية وتعطي الاتفاقية الأولوية في عرض البرامج على الجمهور التونسي بواسطة القمر الصناعي (Olampus).

وشهد البث التلفزي الإيطالي انقطاعا جديدا منذ شهر جويلية ١٩٩٨ لكنه عاد من جديد بداية من شهر نوفمبر ١٩٩٨ مع اقتصاره على العاصمة وضواحيها من جديد.

---

[١٦] - حمدان (محمد): **مدخل إلى قانون الإعلام والاتصال في تونس** – منشورات معهد الصحافة وعلوم الإخبار – المطبعة الرسمية تونس ١٩٩٦، ص.٧٢.

[١٧] - أسندت الإجازات التلفزية الأولى بعد الثورة الهيئة الوطنية المستقلة لإصلاح الإعلام في تونس وهي هيئة ثورية ترأسها الصحفي كمال العبيدي وذلك قبل تأسيس هيئة تعديلية ناظمة للاتصال السمعي والبصري حسب مقتضيات المرسوم ١١٦ السماة "هايكا -HAICA" قبل صدور دستور ٢٠١٤ والذي سيطلق عليها "هاكا - HACA".

ISSN: 2706-6495

٢,٢,٥- البث التلفزي الفرنسي العمومي في تونس (١٩٨٩)، القناة الفرنسية الثانية (Fr2)،(A2).

يرجع التعاون التونسي الفرنسي في مجال البث التلفزي للحقبة الاستعمارية خاصة بعد اتفاقية ٣٠ أكتوبر ١٩٥٣ التي عبر فيها الطرف التونسي عن رغبته في إقامة شبكة تلفزية، لكن هذه الاتفاقية لم تَرَ النُّور بسبب دخول تونس وفرنسا في مفاوضات من أجل الاستقلال، بيد أن هذا التعاون استمر بعد الاستقلال وذلك بموجب اتفاقية جديدة في ٠٧ ديسمبر ١٩٥٩ وكذلك اتفاقية ٢٦ جويلية ١٩٦٧، وكان لديوان الإذاعة والتلفزة الفرنسية مكتب في تونس يشرف على هذا التعاون في المجال السمعي البصري فقد كانت القناة الفرنسية الثانية أكبر ممول للبرامج التلفزية الناطقة بالفرنسية في القناة الوطنية التونسية الناشئة.

وبلغ هذا التعاون مرحلة استقل فيها البث التلفزي الفرنسي عن البث التلفزي التونسي بعد أن توفرت أسباب نجاح هذا المشروع مع التحول السياسي الحاصل في تونس في ٠٧ نوفمبر ١٩٨٧ وإثر إطلاق فرنسا لقمرها الصناعي (TDF1) سنة ١٩٨٩.

وانطلق بث القناة الفرنسية الثانية (A2) آنذاك بشكل مباشر في تونس يوم ٠٢ جوان ١٩٨٢ بمناسبة زيارة الرئيس الفرنسي "فرانسوا متيران" إلى تونس، وتمّ تسخير معدات القناة التونسية الثانية التي توقف بثها منذ ذلك التاريخ لفائدة بث برامج القناة الثانية الفرنسية، وفي مقابل تعهد الطرف الفرنسي بدفع تأجير هذه المعدات وتكاليف إعادة البث. أما الطرف التونسي فقد التزم بعدم استغلال هذه القناة إلا في عرض شريط الأنباء الناطق باللغة الفرنسية (JTF) الذي تنتجه الإذاعة والتلفزة التونسية في الوقت الذي تبث فيه القناة الفرنسية الثانية نشرتها المسائية. هذا إلى جانب صلاحيات أخرى تسمح بقطع بعض البرامج التي تمس من الخصوصية التونسية.

وقد عرفت مساحة بث هذه القناة تطورات عديدة فبعد أن كان البث بداية من الساعة الواحدة زوالا إلى نهاية البث عدلت الاتفاقية في مفتتح ديسمبر ١٩٩١ ليصبح انطلاق البث من الساعة التاسعة صباحا وينتهي بعد نشرة آخر الليل.

وبمناسبة زيارة الرئيس الفرنسي "جاك شيراك" إلى تونس في ٠٦/٠٥ أكتوبر ١٩٩٦ مُدِّد في هذا البث لينطلق من الساعة السادسة صباحا.

٣,٢,٥- البث التلفزي الأجنبي الخاص في تونس ١٩٩٢، قناة الأفق المشفرة (CANAL + HORIZON): [١٨]

[١٨] شعري (ندى)، **تجربة قناة تلفزية خاصة بتونس : قناة الأفق نموذجا** – رسالة ختم الدروس الجامعيّة معهد الصحافة وعلوم الإخبار، تونس ١٩٩٣ – ١٩٩٤ (بتصرف).

اعتمدت شركة (CANAL+) الفرنسية منذ سنة ١٩٨٧ إحداث قنوات تلفزيّة مشفرة في عدد من الدول الإفريقية، وكانت تونس إحدى هذه الدول التي شملها بث هذه القناة مع إحداث شركة الدراسات والتنمية السمعية البصرية للبلاد التونسية (سيدات) منذ ٢٦ جانفي ١٩٩٠ بشراكة تونسية فرنسية في تسيير هذه القناة الجديدة وتساهم الدولة التونسية بـ٦٠ % من رأس مال هذه الشركة المحدثة باعتبارها شركة خفية الاسم تخضع للتشريع التجاري التونسي. النسخة التونسية لقنوات (CANAL+) أطلق عليها اسم قناة الأفق (Canal Horizons) وهي قناة مشفّرة تبث في تونس كان أول بث لها في ديسمبر ١٩٩١ و انتهى بثها للجمهور التونسي منتصف ليل الثلاثاء ١٦ أكتوبر ٢٠٠١، أي بعد تسع سنوات من حضورها في تونس وذلك "لأسباب اقتصادية"، تم بموجبها تسريح ١٠٧ من العاملين في القناة بعد حصولهم على تعويضات، وهذا بعدما أغرقتها الفضائيات واستوعبت زبائنها، مما عدُّ آنذاك ضربة للغة الفرنسية في مستعمراتها القديمة ولسيما دول المغرب العربي، وذلك لمصلحة اللغة العربية التي عززت القنوات الفضائية العربية دخولها المجاني إلى كل البيوت. وجاءت نهاية قناة الأفق (Canal Horizons) في تونس بعد أن بلغ عدد المشتركين في خدمتها المشفرة غير المجانية على قاعدة " أدفع تشاهد - pay to chow"، في أواسط التسعينات من القرن العشرين إلى حوالي ٦٥,٠٠٠ مشترك من النظّارة التونسيين لفائدة القناة الخاصة الوحيدة في المشهد التونسي خلال تلك الفترة.

ومن النّاحية القانونية الفنيّة: وبموجب كراس الشروط الموقع بين الطرفين التونسي والفرنسي في ٠٤ سبتمبر ١٩٩١ منحت الدولة التونسية ترخيصا بالبث لهذه القناة على التراب التونسي. كما ينص كراس الشروط على بث ما لا يقل عن ثلاث ساعات من برامج القناة على الجمهور العريض دون اعتماد التشفير بشرط أن تكون ثلاثة أرباع هذه البرامج باللغة العربية. كما تلتزم الشركة بتخصيص ستة بالمائة (٦%) من مداخيلها بتمويل الإنتاج السينمائي التونسي، وبتخصيص مبلغ ٥٠ ألف دينار سنويا للتكوين التقني بالخارج لفائدة فنيي مؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية.

على أن بث هذه القناة غير محدّد بوقت بل هو مفتوح على مدى ٢٤ ساعة شريطة "أن لا تمسّ هذه البرامج بالنظام العام وبالأخلاق الحميدة وأمن البلاد التونسية" وفي هذا الإطار تتولّى محطة البث الرئيسي لـ(CANAL+) في فرنسا إعداد الخطوط الرئيسية وإرسال برامجها عبر القمر الاصطناعي لفروعها في إفريقيا بما فيها قناة الأفق "التونسية" على أن تتولى هذه القناة إدراج إنتاجها الخاص وإرساله عبر تجهيزات تسخرها لها الدولة التونسية.

غير أن المطلع على الشبكة البرامجية لهذه القناة التي انطلق بثها في ٠٧ نوفمبر ١٩٩٢ يلاحظ إغفالا للبرامج الإخبارية ذات الطابع السياسي، مع التركيز على الأفلام والبرامج الرياضيّة والترفيهية التي هي من خصائص هذه القناة.

٣,٥- البث التلفزي الوطني التونسي (١٩٦٦-١٩٩٤).

١,٣,٥- التلفزة الرسمية التونسية، القناة الأولى : (١٩٦٦)(٢٠١١)– شعارات ما قبل الثورة

1966 –1992 1992 -1997 1997 -2000 2000 -2006

2006 -22 ماي 2008 23ماي 2008 - 14جانفي٢٠١١

ISSN: 2706-6495

*** التلفزة الوطنية التونسية القناة الأولى : (١٩٦٦) - (٢٠١٦)– شعارات ما بعد الثورة**

من 21 جانفي 2011 - إلى 25 جويلية 2011 **من 25 جويلية 2011 إلى ٣١ ديسمبر ٢٠١٦**

بداية من جانفي ٢٠١٧

من الوجهة التاريخية كانت بداية التفكير جدّيا في إحداث قناة تلفزية وطنية تونسية مستقلة عن الجانب الفرنسي منذ شهر أكتوبر ١٩٦٢ بعد انعقاد مجلس كتّاب الدولة التونسية - مجلس الوزراء- لغاية التباحث حول مشروع إحداث "تلفزة تونسية تكون تثقيفية بالدرجة الأولى وتشمل الجمهور الواسع لتكون أداة تخدم تقدم وازدهار البلاد"، وكانت تجربة البث التلفزي الأولى في غرة أكتوبر ١٩٦٥ على امتداد الساعة والربع (1H.15') وقد شملت مناطق تونس العاصمة وضواحيها في عروض مباشرة لبرامج موسيقية ومسرحية أمنها آنذاك مبدعون تونسيون. ثم أعقبتها تجربة بث ثانية يوم ٢٩ من ذات الشهر واستمر لمدة ساعتين وربع الساعة (2H.15'). هذه التجارب الأولية للبث والإنتاج التلفزي التونسي قد لاقت استحسانا وتشجيعا للكفاءات التونسية الصاعدة العاملة بالتلفزة التونسية. وبدءا من جانفي ١٩٦٦ وبالتوازي مع بث التلفزيون الإيطالي، أصبح البث التجريبي التلفزي التونسي أكثر انتظاما من خلال شبكة برمجية شبه مستقرة. واستمر الأمر كذلك إلى أن انطلق البث الرسمي للبرامج الأولى للتلفزة التونسية في ٣١ ماي ١٩٦٦ تحت تسمية (إ ت ت) أي الإذاعة والتلفزة التونسية، في افتتاح رسمي للتلفزة التونسية بخطاب ألقاه الرئيس الحبيب بورقيبة، لكن دونما تخصيص إدارة تشرف على هذا الهيكل المحدث، وانتظرت التلفزة التونسية أمر ١٩٨٢ الذي نظّم هياكل إدارة التلفزة، وبمقتضى هذا الأمر أحدثت إدارة فرعيّة للتلفزة الوطنية تتكفل بالإشراف على برامج القناة الوطنية إنتاجا وبثا وتضمّنت هذه الإدارة أربعة مصالح هي: مصلحة البرامج الاجتماعيّة والاقتصادية والتربويّة، مصلحة المنوعات، مصلحة التمثيليات، مصلحة البرامج الرياضيّة، أمّا إدارة الأخبار فلم يقع بعثها إلا في أوت ١٩٨٣، وتراوحت بين استقلاليتها كإدارة فرعية، أو تبعيتها إلى إدارة مؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية، أوخضوعها إلى الإشراف المباشر من إدارة الإعلام بقصر الرئاسة بقرطاج.

وقد تطور البث التلفزي اليومي التونسي ليبلغ بعد سنة من انبعاث التلفزة الفتية التونسية أي في العام ١٩٦٧، (3 H) ثلاث ساعات من البرامج ساعتان باللغة العربية (2H-L A) وساعة واحدة باللغة الفرنسية (1H-L F)تبث مساء كل يوم .

ومن النّاحية الفنيّة التقنية: اعتمدت تقنية البث بالألوان الثلاث أول مرة سنة ١٩٧٦ بعد أن كان البث قبل ذلك بالأبيض والأسود. وفي ١٢ جوان ١٩٨٣ أطلقت تسمية جديدة على القناة التلفزية التونسية التي أصبحت (إ ت ت ١) عقب تعزز التلفزة التونسية بالقناة التلفزية الثانية (إ ت ت ٢) الناطقة بالفرنسية وكانت ثمرة تعاون بين تونس وفرنسا،

ISSN: 2706-6495

في ديسمبر ١٩٨٧ بدأت التلفزة التونسية في عرض خدمة الإعلانات والدعاية الإشهارية لأول مرة [١٩]. وتمّ اعتماد نظام (PAL) في الإنتاج و(SECAM) في الإرسال ثم أصبح الإرسال على نظام (PAL) بداية من سنة ١٩٨٩ [٢٠].

كما أمكن للقناة التلفزية التونسية أن تبث برامجها عبر الأقمار وذلك بعد دراسة انطلقت ٢٣ جانفي ١٩٩٢ بمقتضى أمر رئاسي، وانطلق هذا البث قبل نهاية السنة ذاتها أي في ٠٧ نوفمبر ١٩٩٢ على القمر الصناعي (أوتل سات ٢-ف٣) [٢١].

وأصبحت القناة منذ ذلك الحين تسمى قناة ٧ (ق٧) قبل استبدال هذا الاسم بتونس ٧ (ت٧) في ماي ١٩٩٨. ومنذ ٠٧ نوفمبر ١٩٩٦ شرعت قناة ٧ في نشر النصوص المرئية عبر الشاشة (Télétexte) كما تمكنت القناة بداية من سبتمبر ١٩٩٧ من بث برامجها عبر شبكات الكابل في كامل التراب الفرنسي[٢٢]. وفي ٢١ جويلية ٢٠١٦ أعلن الديوان الوطني للإرسال التلفزي التونسي عن الانتقال الكلي من البث التلفزي التماثلي إلى نظام الرقمي TNT.

- من الناحية التنظيمية القانونية: تم بمقتضى الأمر المؤرخ في 25 أفريل 1957 إحداث مؤسسة تونسية حكومية إبان الاستقلال و تسمى" الإذاعة والتلفزة التونسية" وذلك بعد تونسة أول محطة إذاعية تبث على الأثير التونسي في ١٥ أكتوبر من العام ١٩٣٨، تم تأسيس مؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية هي مؤسسة عمومية تونسية ذات صبغة تجارية في ٧ ماي ١٩٩٠ إلى حين صدور قرار بتقسيمها في ٢٣ جويلية ٢٠٠٧ إلى مؤسستين، الأولى تختص بالإذاعة وهي مؤسسة الإذاعة التونسية، أما الثانية وهي مؤسسة التلفزة التونسية فهي مؤسسة عمومية تختص بالقطاع السمعي البصري كمرفق عمومي. ولتحتفظ بالمقر الذي كان مشتركا بين محطات التلفزة والإذاعة و الكائن بشارع الحرية بالعاصمة التونسية، محطات الإذاعات المركزية الأربعة (إذاعة تونس، إذاعة الشباب، إذاعة تونس الثقافية، إذاعة تونس الدولية) وهو أيضا مقر رسمي (للإدارة العامة لمؤسسة الإذاعة التونسية التي تشرف أيضا على باقي المحطات الإذاعية الجهوية التابعة لها بوصفها مرفقا إذاعيا عموميا وهي إذاعات (صفاقس، المنستير، قفصة، تطاوين، الكاف ، وجميعها يبث على شبكة التضمين الترددي FM)، أما مؤسسة التلفزة التونسية فقد انتقلت بقناتيها وهما الوطنية الأولى والوطنية الثانية اللتان تبثان على الأقمار الصناعية وعلى الشبكة الأرضية إلى هضبة الهيلتون وهو المبنى غير مستوفى البناء الذي كان من المنتظر أن يكون مقرا لجامعة الدول العربية بعد إعادتها إلى مقرها الأول بالقاهرة في العام ١٩٩١,

٢,٣,٥- القناة الرسمية التونسية الثانية.

من ٧ نوفمبر ١٩٩٤ - ٦ نوفمبر ٢٠٠٧ تونس ٢١- بداية من ٧ نوفمبر 2007 من ٢٠ جانفي إلى ٢٥ جويلية ٢٠١١

من ٢٥ جويلية ٢٠١١ إلى ٩ مارس ٢٠١٥ من ٩ مارس ٢٠١٥ إلى ٣١ ديسمبر ٢٠١٦

[١٩]- ***الموقع الرسمي لخمسينية التلفزة التونسية ١٩٦٦-٢٠١٦*** ، تاريخ التلفزة التونسية، http://www.watania2.tn/ ، اطلع عليه في مارس ٢٠١٦.
[٢٠] - ***مؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية بالأرقام، وثيقة إدارية داخلية***، السنة المعتمدة ١٩٩٥.
[٢١] - مجلة الإذاعة والتلفزة التونسية العدد ١٩٩٦/١٢/٠٧، ص.١٣.
[٢٢] - إبراهم (وحيد)، مذكرة تربص **"البرامج الثقافية المحلية في قناة ٧**، شهادة الدراسات المتخصصة معهد الصحافة وعلوم الإخبار تونس ديسمبر ١٩٩٧.

ISSN: 2706-6495

بداية من ٠١ جانفي ٢٠١٧

٣,٣,٥- القناة التلفزية الدوليّة (القناة الثانية-إ ت ت ٢): (١٩٨٣)(٠٢ جوان ١٩٨٩)

انطلق إرسال هذه القناة في ١٢ جوان ١٩٨٣ وهي تبث برامجها باللغة الفرنسيّة، وتشرف على هذه القناة إدارة فرعية بمقتضى قانون ١٩٨٢، وجاءت هذه القناة لتضع حدا للخلط بين البرامج العربية والفرنسيّة التي كانت تعرض على القناة الوطنية، وفي ضوء هذا التحول الذي هو ثمرة تعاون فرنسي تونسي اعتمدت تسمية جديدة على القناة التلفزية التونسية التي أطلق عليها (إ ت ت ١) بعد تعزز التلفزة التونسية بالقناة التلفزية الثانية عرفت بـ (إ ت ت ٢) وهي ناطقة بالفرنسية..

وقد تولت فرنسا بموجب اتفاقية ٠٥ أوت إنشاء هذه القناة وتوفير التجهيزات الضرورية لإنتاج بعض البرامج وكذلك معدات للبث مقابل امتيازات مالية هامة للطرف التونسي الذي حافظ على الروح الفرانكفونية للقناة [٢٣]. و التسمية المختصرة (إ.ت.ت. ٢) هو اختصار لعبارة [الإذاعة والتلفزة التونسية القناة الثانية]. هذا الاسم حملته القناة الثانية للتلفزة التونسية بين تاريخ إنشائها في ١٢ جوان واختفائها في النصف الثاني من ١٩٨٩. كانت هذه القناة تبث برامجها بالفرنسية لساعات محدودة في اليوم (بين الثامنة والنصف مساء والحادية عشرة ما عدا في نهاية الأسبوع حيث كان إرسالها ينطلق في السابعة مساء وينتهي يوم السبت في منتصف الليل). كانت هذه القناة تعمل في نطاق ضيق (استديو وحيد) وبميزانية محدودة لا تتعدى عُشُر ١/١٠ ميزانية التلفزة الوطنية. اعتمدت أساسا على بث برامج وشبكة TV5 القناة الثانية الفرنسية A2 . لكن القناة الدولية لم تلبث أن انقطع بثها ليحل محله الإرسال المباشر لبرامج القناة التلفزية الفرنسية الثانية (A2) بداية من ٠٢ جوان ١٩٨٩ بمقتضى اتفاقية تعاون ثقافي فرنسية تونسية.

٤,٣,٥- القناة المغاربية: ١٩٩٠ (إحياء مشروع مغرب فيزيون MagrebVision)

إثر تولي الرئاسة التونسية الرئاسة الدورية لاتحاد دول المغرب العربي، أُعلن رسميا في ١٧ فيفري ١٩٩٠ عن إحداث قناة تلفزية مغاربية وذلك في محاولة لإعادة الحياة لمشروع " تلفزة المغرب العربي" (مغرب فيزيون) الذي انطلق إنجازه عام ١٩٧٠ لكنه تلاشى منذ سنة ١٩٧٥ بعد اندلاع أزمة الصحراء الغربية بين المغرب والجزائر.

وانطلق بث القناة يوم ٢٠ مارس ١٩٩٠ بإشراف من مؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية، على أن البعد المغاربي لهذه القناة لم يتجسم إلا في مضامين برامجها التي كانت المؤسسة تسعى إلى جمعها من مختلف قنوات المنطقة المغاربية، ومن أهم المميزات التي طبعت هذه التجربة في قيمتها الإخبارية إنتاجها لنشرة إخبارية تبث يوميا على الساعة التاسعة ٢١:٠٠ وتدوم ٢٠ دقيقة. واللافت في هذه التجربة أيضا الخط التحريري لهذه النشرة في بدايتها المتجاوز لتقاليد نشرات أخبار الإذاعة والتلفزة التونسية (إ.ت.ت)التي تنطلق دائما بالنشاط الرئاسي، فلم تكن تفتح بداية النشرة. وجلبت النشرة وبخاصة غرفة الأخبار بهذه القناة الأنظارإليها خاصة من خلال تغطياتها لوقائع حرب الخليج الثانية -١٩٩١ المعروفة بحرب تحرير الكويت. وقد ترأس تحريرها الصّحفي **ماهر عبد الرحمان**، وهي تجربة لم تعمر طويلا بعد التخلي عن التوجه المغاربي، إذ عادت النشرة الأخبارية لهذه القناة للخط التحريري التقليدي.

[٢٣] برجي (فرحات) / غرس الله (فتحي)**: القناة التلفزية الثانية في تونس**، رسالة ختم الدروس الجامعية، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس ١٩٨٥.

ISSN: 2706-6495

و باستثناء نشرة أخبارها، كانت هذه القناة تنتج برامج قليلة. في حين اقتصرت في بثها على العاصمة التونسية وأحوازها على أمل توسيع بثها تدريجيا. لكن هذه التجربة عرفت عديد الصعوبات فلم تتواصل. فوقع استبدال برامجها المغاربية، ببرمجة شبابية وثقافية، بدأ منذ سنة ١٩٩٣، أي عودة البث البرامجي التونسي على ما يعرف بالقناة الثانية [٢٤].

واستمر الأمر كذلك إلى سنة ١٩٩٤ تاريخ بعث قناة الشباب (ق ٢١).

٥,٣,٥- قناة الشباب (ق ٢١): ١٩٩٤

قناة ٢١ - (٧ نوفمبر ١٩٩٤ - ٦ نوفمبر ٢٠٠٧) **تونس ٢١- (بداية من ٧ نوفمبر 2007)**

سوف نخص قناة الشباب بتفاصيل بحثية لم نعرض لها خلال المسار التأريخي للمشهد السمعي البصري ككل، وذلك لدواعٍ موضوعة على ارتباط بظهور أول قناة متخصصة في المشهد التونسي، فضلا عن ارتباطها بالفئات الشبابية والأطفال والناشئة وهي محور بحثنا الرئيسي في علاقته بالشاشة الصغيرة، مع استغوار النوايا الباطنة لبعث هذه القناة من خلال التوجهات الرسمية، ومدى تطابقها مع الأهداف المعلنة بالخطاب الرسمي منذ انبلاجها وما لحقته من انحرافات وانزياحات في التجسيم والممارسة على مستوى البرمجة والإنتاج، وانعكاسات تلك الممارسات على سلوك ووعي الناشئة بوصفها جمهورا مستهدف من قبل باعثي ومسيري القناة. إذ يندرج هذا المشروع الاتصالي من خلال الخطاب الرسمي "ضمن رؤية حضارية شاملة تؤسس لمرحلة جديدة من تاريخ مؤسسة الإذاعة و التلفزة التونسية، تعمل على التكامل مع النظام التربوي لتساهم في تطوير الإعلام وتوجيهه نحو تشكيل رأي عام متطور مبني على التواصل والحوار في المجتمع مع مد جسور الحوار مع الشباب"، وذلك تمهيدا لقطع الجزئي ثم الكلي لإرسال التلفزة الفرنسية Fr2 بسبب بثها من حين إلى آخر لأخبار مناوئة للسياسات العامة التونسية وللعائلة الحاكمة دون القدرة على التحسب لها وقطعها في زمن البث الذي يسطر عليه الجانب الفرنسي حسب الاتفاقية المشتركة للبث الفرنسي لهذه القناة في تونس.

١,٥,٣,١- تاريخ انبعاثها:

انطلقت قناة ٢١ للشباب في بث برامجها يوم ٠٧ نوفمبر ١٩٩٤ وكان معدل البث آنذاك ساعتين وخمسا وثلاثين دقيقة يوميا، ثمّ تطوّر بعد ذلك ليبلغ حجم البث اليومي ثلاث ساعات ونصف الساعة أي ما يعادل أربعة وعشرين ساعة ونصف الساعة أسبوعيا تهتم بكل الأغراض والألوان البرامجية مراعاة للوظائف التلفزية (التقليدية) (إعلام وثقافة وترفيه) وتحت شعار،" قناة الشباب، إلى الشباب وبالشباب".

٢,٥,٣,٥- الدّوافع الرّسمية لانبعاثها:

ويمكن تلخيص أهم دوافع وأهداف بعث هذه القناة حسب الخطابات الرسمية للنظام في ما يلي :

- فسح المجال أمام الشباب للتعبير عن آرائه وطموحاته قصد استجلاء شواغل هذه الفئة العمرية وتطلعاتها.

[٢٤] الأجنف (عماد): **قراءة في تجربة قناة تلفزية مغاربية**، رسالة ختم الدروس الجامعية، معهد الصحافة وعلوم الإخبار تونس ١٩٩٢-١٩٩٣ بتصرف.

ISSN: 2706-6495

- تيسير التواصل بين الشباب ومجتمعه عبر ترجمان صادق يعبر عن اهتمامه.
- توفير حصانة ذاتية تجاه "الزحف والتعميم الإعلامي" بعيدا عن كل أشكال الانغلاق ومخاطر الاغتراب، مع تعزيز مقومات الهوية الحضارية لدى النشء.
- تهذيب أذواق الناشئة والسمو برؤاها الفنية والجمالية.
- بعث مساحات حرة لتثقيف الشباب وترفيهه وتنمية معارفه وثقافته العلمية[٢٥].

٣,٥,٣,٥- وجه التسمية رسميا (ق٢١):

تضمن الخطاب الرسمي توظيفات مختلفة للرقم واحد وعشرين ٢١ على القناة الشبابية الأولى في المشهد السمعي البصري التونسي، وهي الاحتفال بعيد الشباب كل سنة في ٢١ مارس، انعقاد أول مجلس وزاري مضيق مخصص للشباب في ٢١ نوفمبر ١٩٨٧، فضلا رمزية المنحى المستقبلي للرقم ٢١ للقناة بإعداد جيل شبابي قادر على مواجهة الصعاب من أجل الانخراط في القرن ٢١، علاوة عن دلالة سن العشرينات الذي هو سن النضج والفتوة. لكن غالب الملاحظين المستقلين والمختصين عاينوا الزيغ والانحرافات الحاصلة بما جعل منها "قناة للكبار على لسان الصغار".

٤,٥,٣,٥- خصائص قناة ٢١ ومميزاتها الشبابية:

إن طبيعة هذه القناة كجهاز رسمي فئوي وموجه ومختص، وكذلك ضيق المساحة الزمنية المحددة لبث برامجها أكسبها خصائص ومميزات أملتها طبيعتها كقناة للشباب. وتبعا لذلك تميزت هذه القناة في بدايات إحداثها غالبا بخصائص وأساليب في البرمجة والتقديم أهمها:

- التركيز على الخصوصية الشبابية في البرمجة.
- اعتماد النسق السريع والإيقاع المتحرك في البرنامج.
- اعتماد خطاب شبابي سهل التقبل يتجنب التعقيد والإلغاز.
- عدم الاعتماد على مقدمي الربط بين البرامج.

وانعكست هذه المقومات على جل البرامج وبخاصة على النشرة الإخبارية في قناة ٢١ مضمونا وأسلوبا وتقديما على الأقل في بدايات القناة...

٥,٥,٣,٥- التجهيزات التقنية لقناة ٢١:

يغطي بث هذه القناة (٩٩,٦% بالمائة) من سكان سكان البلاد التونسية . تبث الوطنية ٢ برامجها تناظريا عبر الشبكة الأرضية على موجة UHF انطلاقا من ٩ محطّات رئيسية و٦٣ محطّة فرعيّة موزّعة على كامل التراب التونسي. كما تبث حاليا برامج هذه القناة رقميا لمنطقة تونس الكبرى عبر الشبكة الأرضية انطلاقا من محطة بوقرنين. تطلب تركيز قناة ٢١ تخصيص أستوديو للإنتاج ولبث النشرة الإخباريّة وقاعة لبث البرامج، ولهذا الغرض تم استغلال المعدّات التقنية التابعة للقناة الثانية التونسية (إ ت ت ٢) التي توقّف بثها بعد إحداث القناة المغاربية ثمّ قناة ٢١،

[٢٥] - الجراية (إلياس)، **قناة ٢١ في عيون الشباب المدرسي**، رسالة ختم الدروس الجامعية، المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي تونس ١٩٩٤-١٩٩٥.

ISSN: 2706-6495

بالإضافة إلى التجهيزات التي اقتنتها مؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية بمناسبة كأس إفريقيا للأمم التي احتضنتها تونس وهذه التجهيزات لم تكن كافية، لذلك تمّ اقتناء تجهيزات إضافية تتمثّل في معدّات لتجهيز استوديو (١١) وقاعة البث التابعة له بالإضافة إلى وحدات تركيب وتصوير خاصة بقناة ٢١ [٢٦].

٦,٥,٣,٥- تقويم شبكة البرامج الإخبارية لقناة ٢١.

- رغم هذه الأهداف المعلنة رسميا فإننا نلاحظ عدم التوازن بين البرامج باعتبار غلبة المضامين الترفيهية على حساب البرامج الإخبارية التي ينتظر منها أن تدعم انفتاح الشباب على العالم رغم أن المقارن بين شبكة برامج موسم ١٩٩٤-١٩٩٥ بشبكة موسم ١٩٩٨-١٩٩٩ يلاحظ ارتقاء طفيفا في نسبة في نسبة البرامج الإخبارية من ٤,٦١ % إلى ٦ % وتقليص حجم المنوعات والألعاب من ٣٤,١٠% إلى ٢٣ % فقط ومع ذلك فإن هذه النوعية حافظت على النصيب الأكبر في كلا الشبكتين [٢٧].

نلاحظ أنه رغم التنصيص على مبدأي مركزية القطاع السمعي البصري واحتكاريته، فإن هذا الستار الاحتكاري الذي تحصّنت به مؤسسة الإذاعة والتلفزة نظريا، قد تفكك من الناحية العملية باعتبار التحوّلات العالمية والتطورات التكنولوجية التي عرفها القطاع الإعلامي باتجاه ترسيخ التعددية الإعلامية وتنوّع مصادر جمع المعلومات ونشرها، زادها الوعي والإرادة السياسية المتفتحة على آفاقها العالمية رسوخا وتثبيتا، وتجسّم ذلك خاصّة من خلال قانون ١٥ جانفي ١٩٨٨ المتعلق بالمحطات الأرضية الفردية والجماعية الخاصة بالتقاط البرامج التلفزية بواسطة الأقمار الصناعية، وكذلك النظام القانوني الجديد لمؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية الصادر في ١٧ ماي ١٩٩٠ والذي منح المؤسسة صلاحيات واسعة بغرض تشجيع المبادرة وتحسين جدواها والتخلّص من ثقل المركزية.

ورغم تطوّر الفضاء السمعي البصري في تونس في اتجاه التعدّد، فإنّ هذا الفضاء بقي يعاني من قلّة التخصّص من الناحية البرامجيّة، باعتماد التنويع البرامجي مع تغييب واضح للبرامج الإخبارية والتحليلية السياسية فضلا عن خلو هذا الفضاء من قناة ذات طابع إخباري شبيهة بتلك القنوات التي بدأ يتدعّم بها الفضاء السمعي البصري العربي مثل قناة الجزيرة والشبكة العربية للأخبار (ANN) وغيرها، رغم الحاجة والميل الجماهيري لمثل هذه النوعية في أفق سياسي تعدّدي [٢٨].

جدول عدد (١) حول البث التلفزي المؤمّن من قبل (مؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية قبل الثورة).

القناة	معدل حجم البث اليومي	النطاق التردد	نسبة التغطية
القناة الوطنية (ت٧)	١٤ ساعة / يوميا	شبكة : VHF القناة الفضائية : KU الساتل : EUTELSAT-2-F3- 16°	٩٨ % من الأراضي التونسية البحر الأبيض المتوسط أوروبا+ (المغرب-المشرق العربي)

[٢٦] - **مجلة الإذاعة و التلفزة التونسية، عدد ٥ نوفمبر ١٩٩٤**، عدد غير مرقم، ص ١٣.
[٢٧] - فريحه (صابر)، **النشرة الإخبارية لقناة ٢١ بين حدود الأداء والاستقبال**، مذكرة شهادة الدراسات العليا في الصحافة، معهد الصحافة، IPSIجامعة تونس 1، تونس ١٩٩٧-١٩٩٨، ص ٦٨ .
[٢٨] - فريحه (صابر)، المصدر السابق، ص ٦٩ .

ISSN: 2706-6495

قناة ٢١ للشباب (القناة الثانية) + شريط الأنباء المصوّر باللغة الفرنسية (JTF)	٣ ساعات / يوميا	شبكة : UHF بالاشتراك مع القناة الثانية الفرنسية "F2"	٩٧ % من الأراضي التونسية

الملاحظ أن البث التلفزي في البلاد التونسية شهد تطوّرا عبر التاريخ، ففي سنة ١٩٦٦ لم يتجاوز شعاع الإرسال التلفزي ٢٤٠٠ كم^{٢} فقط.[٢٩]

٦- انفتاح المشهد التلفزي التونسي بعد الثورة نحو التعددية

عرف المشهد التلفزي التونسي تطورات تاريخية وتحولات هيكلية مرت بالمنظومة السمعية البصرية في تونس من الوضع الاحتكاري المركزي إلى حالة التعددية الفعلية لا القانونية، أواخر سنوات حكم **بن علي**، ومنها إلى مبادرات التعددية القانونية بعد الثورة بعد تحرير المبادرة الإعلامية الإذاعية والمرئية في سياقات تنظيمية ترجع إلى الهيئتين الناظمتين الناشئتين بعد الثورة، وهو ما سنعمل على جدولته تاريخيا كما يلي:

جدول عدد (٢) حول تطوّر القنوات التلفزية التونسية العمومية نحو التعددية

تاريخ تطور المشهد السمعي البصري في تونس - القنوات التلفزية التونسية العمومية -					
الاسم الرسمي للقناة	**آخر شعار رسمي للقناة**	**التاريخ الرسمي لبداية بث القناة**	**نهاية بث القناة**	**التسميات القديمة المطلقة على التوالي تاريخيا**	**الملاحظات**

[٢٩] - **مقابلة مع السيد علي القريشي** مهندس رئيس كاهية مدير التقنيات التلفزية بمؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية، عمل ميداني للباحث المتدرب صابر فريحه، أوت ١٩٩٨.

ISSN: 2706-6495

الوطنية ١		٣١ ماي ١٩٦٦		إ.ت.ت(RTT) إ.ت.ت.١ (RTT1) TV٧ ق٧ تونس٧ (يقصد بها تونس العاصمة) تونس ٧ (يقصد بها الجمهورية التونسية)	تطورشعارالقناة
الوطنية ٢		٠٧نوفمبر ١٩٩٤		قناة ٢١ (Canal 21) تونس ٢١	تطورشعارالقناة

ISSN: 2706-6495

جدول عدد (3) حول تطوّر القنوات التلفزية التونسية الخاصة نحو التعددية

تاريخ تطور المشهد السمعي البصري في تونس ـ القنوات التلفزية التونسية الخاصة ـ

الاسم الرسمي للقناة	آخر شعار رسمي للقناة	التاريخ الرسمي لبداية بث القناة	نهاية بث القناة	التسميات القديمة المطلقة على التوالي تاريخيا	الملاحظات
الحوار التونسي		ماي2003			اندمجت الحوار التونسي في ٢٨ سبتمبر ٢٠١٤ مع قناة التونسية، وبقيت تحت اسم الحوار التونسي ولكن باعتماد برامج قناة التونسية
قناة حنبعل		١٣ فيفري 2005			أول قناة خاصة تونسية.
قناة نسمة		١٦ مارس 2007			
تلفزة تونس ١		١ جوان 2010			
قناة تونسنا		20 مارس 2012			
قناة الجنوبية		٢٠ مارس ٢٠١٢			

ISSN: 2706-6495

شبكة تونس الإخبارية		2012			
قناة الزيتونة		2012			
قناة الإنسان		٠٢ جانفي ٢٠١٣			
قناة تلفزة تي في		١٨ سبتمبر 2013			
قناة الزيتونة هداية		2013			
المغرب العربي ٢٤		2013			
فيرست تي في		29 جوان 2014			
آم تونيزيا		٠٨ ماي 2015			تأسست في ٠٣ ديسمبر ٢٠١٢ تحت اسم قناة المتوسط، وتغير الاسم في ٢٠١٥
التاسعة تي في		٠١ ماي 2015			

ISSN: 2706-6495

جدول عدد (٤) حول القنوات التلفزية التونسية المندثرة من المشهد

تاريخ تطور المشهد السمعي البصري في تونس - قنوات سابقة أو مندثرة -

الاسم الرسمي للقناة	آخر شعار رسمي للقناة	التاريخ الرسمي لبداية بث القناة	نهاية بث القناة	التسميات القديمة المطلقة على التوالي تاريخيا	الملاحظات
إ.ت.ت. ٢	دون شعار	١٢ جوان 1983	1989		
تونس ٢		٢٠ مارس 1990	٦ نوفمبر 1994		
قناة الأفق		1992	١٦ أكتوبر 2001		
قناة حنبعل الشرق		١٣ فيفري 2008	أفريل 2009		
قناة حنبعل الفردوس		٠٣ سبتمبر 2008	2009		

ISSN: 2706-6495

العالمية التونسية TWT **Tunisia World Television**		٢٠ مارس 2012	٣ فيفري 2013		TWT(العالمية التونسية) توقفت عن البث نهائيا لتفسح المجال للبث على ذبذبتها من قبل قناة First TV. بداية من ٢٨ جوان ٢٠١٤
التونسية		١٦ مارس 2011	٢٨ سبتمبر 2014		
قناة القلم		١٤ جانفي 2013	١٥ جانفي 2014		
قناة المتوسط		٠٣ ديسمبر 2012	٠٨ ماي 2015		تغير الاسم والشعارفي ٢٠١٥ إلى "آم تونيزيا"

جدول عدد (٥) حول مشاريع القنوات التلفزية التونسية التي لم تعزز المشهد

قنوات تونسية أخرى – مبادرات غير منبعثة أو لم تر النور -

الاسم الرسمي للقناة	**آخر شعار رسمي للقناة**	**نهاية بث القناة**	**التسميات القديمة المطلقة على التوالي تاريخيا**	**الملاحظات**

ISSN: 2706-6495

"تلفزة صفاقس" "قناة اسمعني" "قناة الحرية" " قناة المواطن" "تواصل تي في" « golden TV » " Ulyss Tv" "الإخبارية التونسية" "ياسمين tv" TWT Tunisia World Television "الرياضية التونسية" ٣		١٧ سبتمبر ٢٠١١	لم تشهد الانطلاق الفعلي وبعضها لم يبث تجريبيا أصلا	عرف المشهد التلفزي التونسي "انفجارا تلفزيونيا" حقيقيا جعل عدد القنوات الجديدة إبان ثورة ٢٠١١ تبلغ حوالي ٣٩ قناة تتراوح بين انطلاق البث التجريبي والبث على الانترنت في مرحلة أولى أو الاستعدادات لبداية البث عبرالأقمار الصناعية بعضها جهوي على غرار "تلفزة صفاقس" أما قنوات أخرى، مثل "قناة اسمعني" أو "قناةالحرية"أوقناة"المواطن" ذات طابع حواري أوإخباري، وكذلك قناة رياضية عمومية. قنوات أخرى ظلت في حدود النوايا المعلنة مثل تلك التي كانت تنوي أن تكون ناطقة باسم الأقلية الأمازيغية أوالبربرية، في حين اختارت أخرى اسم قناة "ثورة" وثالثة ("تواصل تي في") قيل أنها مقربة من حركة النهضة.. وجميعها ظلت في مستوى النوايا فيما استجابت هيئة كمال العبيدي المستقلة لإصلاح الإعلام والاتصال (INRIC) إلى عدد قليل من طلبات الإجازات التلفزية التي بلغت ٣٩ طلبا واكتفت بإسناد إعلاميين مثل محمد الحناشي رخصاتلفزية « goldenTV » كذلك رياض بن فضل مدير " MedMedia " التي تأسست منذ الثمانينات وتحمل هذه القناة التلفزية اسم ياسمين tv. و" Ulyss Tv" لصاحبها نصر علي شقرون، وTWTلعصام الخريجي، والإخبارية التونسية للبطلة الرياضية عبلة لسود،وهذه القنوات لم تر النور إلى حدود ٢٠١٦. هذا فضلا عن خلو المشهد التلفزي التونسي من أية قناة متخصصة عمومية أو خاصة

ISSN: 2706-6495

T " "Sport				

تقويم عام للجداول:

- الجدير بالملاحظة أن **المشهد التّلفزي التونسي بقي خاليا من أي قناة تلفزية متخصّصة عمومية أو خاصة** حتى بعد الثورة، رغم الإعلان عن مبادرات القنوات الإخبارية والرياضية التي بقيت في حدود المشروع أو البث التجريبي أو الإلكتروني، هذا فضلا عن شبهات الولاء السياسي والمالي لأغلب القنوات الخاصة القديم منها، وأكثرمنها اشتباها تلك الناشئة بعد الثورة حسب توكيد البحث الاستقصائي الذي أنجزته الصحفية بوكالة تونس إفريقيا للأنباء **منى المطيبع**، وكذلك ما توصل إليه رئيس (جمعية الخط) **مالك الخضراوي**، من أن ٦٠% بالمائة من أصحاب وممولي القنوات التلفزية في تونس، قريبون من دوائر السياسة والحكم" مما من شأنه أن يحيد بها عن مبدإ الشفافية والاستقلالية"، وفق ما أبرزته نتائج مشروع "مرصد ملكية وسائل الإعلام التونسية" الذي أطلقته جمعيته بمعية منظمة "مراسلون بلا حدود" RSFمنتصف ٢٠١٦. وانتهت نتائج تلك الدّراسة إلى الإقرار بانعدام الشفافية حول مصادر تمويل تلك القنوات، وعدم الانضباط للتشريعات الوطنية المتصلة بتنظيم قطاع الإعلام في تونس، علاوة عن ضعف الجهد والآليات الرقابية للدولة لوسائل الإعلام العمومي، فضلا عن انعدام الشفافية المالية المتعلقة بوسائل الإعلام، كل ذلك في غياب موثوقية ومصداقية قياس الجمهور ونسب المشاهدة والاستماع وبيع النسخ.. تحت مسؤولية الهيئة العليا المستقلة للسمعي البصري HAICA ومقتضيات كراس شروط إسنادها للإجازات التلفزية الحالية. وهو ما يعزز مسؤولية هيئة السمعي البصري التي نص عليها دستور ٢٠١٤ كهيئة تعديلية دائمة لا تخضع للمحاصصات السياسية التي شابت عملHAICA مما هو ضمن مسؤوليتها وأضعفت أداءها وأخل باستقلاليتها.

- نتائج البحث:

- نعيش اليوم في تونس ظاهرة للتعددية الإعلامية فعلية بالمفهوم العددي ذلك أن المشهد انتقل من حالة التلفزيون الأوحد والمؤسسة التلفزية الرسمية الوحيدة، إلى حالة الانفلات التعددي التلفزيوني بعد الثورة على غرار التعددية الحزبية التي أغرقت البلاد في صراعات حزبية عمقتها القنوات التلفزية المتكاثرة وغير البعيدة عن الأمزجة الحزبية وخدمة مصالح فئوية في اتجاه لبننة الحالة الإعلامية التونسية بتمردها عن كل الضوابط المهنية والأخلاقية والمؤسسية والتنظيمية والتنظيم الذاتي تحت تعلات حماية حرية التعبير والتي يبقى الجمهور هو الضحية الأولى من تلك الاستهدافات الإعلامية المغالطة والمظللة والرسائل المفخخة. نعم نعترف بأهمية وضرورة التّعددية الإعلامية للقنوات المحققة لاحتياجات مختلف الأذواق والمستويات، بما يغنيهم عن اللّجوء إلى المنتوجات الإعلامية التلفزية الأجنبية وقنواتها على غرار التجربة المصرية المقبولة نسبيا في هذا الصدد، مع أهمية الارتفاع بالمستوى الفني، والأداء البرامجي للتلفزات الوطنية العربية، بحيث تقنع المشاهد، خاصّة الشباب والأطفال، ببرامجها، وتلبيتها احتياجاتهم الثقافية والإعلامية والاجتماعية، مع تجويد أدائها التنافسي للبرامج الوافدة.

ISSN: 2706-6495

- رغم أهمية التجربة التعددية في تونس ما بعد الثورة وما ساهمت فيه في الانتفاع من منسوب الحرية العالي والدفاع عنه وعن حرية التعبير، فإن المشهد الإعلامي السلطوي ضمن رغم عيوبه للفئة الأكثر هشاشة وهي النشء حقا إعلاميا واتصاليا وثقافيا نسبيا إلى حدود رؤى النظام وسياساته الاتصالية والعامة من خلال إحداثه لقناة ٢١ للشباب التي كانت تضمن الحد الأدنى من شبابية المضمون وفق المزاج السياسي العام وتوظيفات هذا الوعاء خدمة لإيديولوجيا النظام القائم، غير أن حالة التعددية اليوم وبعد وهاء العقد من زمن الثورة تجاهل كليا حقوق النائشة التونسية بتحول هذه القناة الوحيدة إلى تلفزيون غير جاد، تلفزيون للإعادات لإنتاجاتها الدرامية والهزلية ومسلسلاتها الرمضانية إلى ما أكثر من عشرين إعادة لبعضها، دون مراعاة لمتغيرات الزمن ومتطلبات الجمهور الذي خلق لزمان غير زمان تلكم المسلسلات...

- نعيش اليوم ظاهرة تعرف "بالتّلوث السّمعي البصري" **Pollution audiovisuelle** في علاقة الجمهور وبخاصة الناشئة بالصّورة التلفزية بفعل ظاهرة الاستهلاك المفرط للبرامج والقنوات التلفزية وتأثيراتها، وبسبب التلاعب بوعي ولاوعي الجمهور في ظل تعددية فوضوية للمشهد السمعي البصري التونسي والعربي عموما، في واقع تلفزيون الواقع Télé-Réalité وتلفزيون المهملات télé poubelle الأمر الذي يتطلب تدخل كلّ الأطر الاجتماعية وتحديد مسؤولياتها، والسلطات المرجعية المخولة في إطار التنظيم والتنظيم الذاتي لمهن الإعلام والصحافة مثل مجلس الصحافة، والهيئة الدستورية الدائمة للسمعي البصري خلفا لهايكا التي فقدت كل مسوغ لبقائها ومشروعيتها القانونية بعد صدور دستور ٢٠١٤ خاصة وأنها تأسست في وضع انتقالي ولبنيت تركيبتها على المحاصصات السياسية مما أفقدها صفة الاستقلالية التي تحملها كأسم ورسم، والتعجيل بتشريع دائم يعوض المرسومين ١١٥ و١١٦، ضمانا لاستقرار تنظيم الإعلام في تونس، والنسج على منواله عربيا.

- نشهد اليوم ظاهرة "الأمّية المرئيّة" **L'ignorance audiovisuelle** مع العجز عن تقدير مخاطر الصورة وآثارها وقدرتها على الإثارة والتحفيز الأمر الذي يتطلب تجاوز المنطق الاستهلاكي للصورة، لاكتساب آليات قراءتها عن طريق مراجعة المناهج التربوية، ولإدراك تقنيات الصورة، أو بعث وتنشيط "النوادي السمعية البصرية"، بما يمكن الناشئة تجاوز "إبهار الصورة" عبر التكوين، وفهم شحنات الصورة ومضامينها لخلق "بيئة بصرية سليمة داخل الأسرة وخارجها، وليدرك المربّون أن التلفزيون ليس حنفيّة ليبقى كامل اليوم مفتوحا ليروي ضمأ الطفل والنّاشئة". على أنّ إمكانات التلفزات الأجنبية في هذا الصدد تتفوق على ما يتوفّر للقنوات الوطنية العربية، وهو ما يتطلّب تنسيقا أكبر من أجل تكامل القدرات عبر الإنتاج المشترك مثلا، وإلى مزيد تفعيل دور اتحاد إذاعات الدول العربية ASBU ودوره في التبادل البرامجي والبحوث والدراسات والتوصيات الصادرة عنه في هذا الصدد.

- توصيات ومقترحات:

- في هذا الخضم بتعقيدات ونقائص المشهد السمعي البصري التونسي أطلقنا مبادرة أكاديمية وميدانية لتأسيس منصة تفاعلية لتعليم وتعلم الميديا للناشئة التونسية والعربية وإنتاجها كمقدمة لتأسيس قناة تلفزية أو شبكة متخصصة في هذا الباب سدا للفجوة التي خلفها غياب مثل هذه المضامين التنشوية التي تستهدف تعليم والجمهور ومحو الأمية الاتصالية في تونس والعالم العربي ككل أطلقنا عليها اسم ديونتوميديا Deontomeda كمقدمة لتأسيس أول مشروع إعلامي واتصالي عربي وتونسي تفاعي للنشء على أساس اعتماد معايير الأخلاق المهنية الصحفية في معالجة قضايا الواقع والراهن والأحداث، وهو بوابة الناشئة والصحفيين الشبان وصحفيي المستقبل للتربية على الميديا وذلك عبر تملك أدوات ومهارات التحرير وصناعة المضامين الإعلامية والمحتويات الاتصالية وفق التزامات الصحافة الحرة المدافعة عن حق التعبير والحريات العامة، والمتقيدة بمعايير الأخلاقية والمهنية والشفافية والدقة والموضوعية والاستقلالية والحياد.

ISSN: 2706-6495

مع التمكين للنشء من فضاء تفاعلي لتيسير فهم مضامين الميديا وتحليل محتوياتها ونقد هاوفق معايير المهنية والأخلاقية. بحيث يصبح المشروع نافذة على عالم الميديا وأخبار الصحافة والمؤسسات الصحفية والإنتاج الإعلامي ومؤسسات التكوين الصحفي والتدريب والتطوير الإعلامي وتجديد الحالة الإعلامية وتطوير آلياتها الديمقراطية.

- ضرورة خضوع البرامج التلفزيونية للتخطيط المسبق من قبل الأخصائيين في علوم النفس والاجتماع والتربية، مع ضرورة انفتاح التلفزيونات المحلية على الجمهور بإقحام جزء منهم في مجالس المؤسسات للقنوات التلفزية من أجل إبداء الرّأي، ووضع البرامج، وذلك في اتجاه مزيد التفاعل بين المؤسسة والجمهور مع تفعيل دور الرقيب أو الوسيط أو الموفق الإعلامي Ombudsman لتفعيل التفاعلية والتحكيم في عمليات التظلم والتحكيم في قضايا الجمهور بالوسيلة. لذلك يجب على الأسرة أن تسترد موقعها المحوري في التنشئة الاجتماعية، وأن لا تترك مواقعها السيادية – وإن بصيغة تشاركية تعاقدية- في بناء الأجيال القادمة إلى صناع التلفزيون بمنطق الربح والتسويق والتأثير والتنميط والتطبيع لما هو مستهجن وغريب وغير محلّي قبل أن تحصن الناشئة لتفاعل حضاري آمن لا يجتث النائشة من جذورها بحقيقة الانتماء، وليس بواقع الانتساب.

- ضرورة دعم رصيد البحوث الكيفية لدرس تأثيرات الصّورة التلفزيونية على الروابط الاجتماعية وآليات التنشئة ضمن مرصد observatoireيلتفّ حوله المختصون من مختلف البلاد العربية نظرا لوجود مخاطر "التّقبل السلبي للصورة التلفزيونية". مع الدعوة الملحة أن تشمل مشاريع الإصلاح التربوية المعتزمة إدراج مادة التربية على التعامل مع وسائل الإعلام أو التربية الاتصالية وفي كافة المستويات التّعليمية وبخاصة مناهج التعليم الأساسي ومقرراته لإقدار الناشئة في سن الدراسة على تحليل الصورة التلفزيونية بوعي كما ذهب إلى ذلك الباحث **أحمد خواجة**. لذلك يتلخّص دور التلفزيون التربوي أو تلفزيون الأطفال أو الشباب، في توفير الحاجات المعرفية، بعيدا عن الإملال، مع مراعاة المراحل العمرية، والمجيبة عن تساؤلات الطفل، بالإضافة إلى ضمان احتياجاته النفسية، والمحققة لتوازنه، مع تحقيق احتياجاته الانتمائية، بتعزيز القيم الوطنية والحضارية والدينية والثقافية... عن طريق تيسير انتقالها الإيجابي والمناسب عبر الشاشة والصورة.

خاتمة

ونختم هذه المقاربة بالتعبير عن انشغالنا الكبير بإزاء الحالة الإعلاميّة الانتقاليّة التّونسية التي تعاني مم أسلفناه من نقائص ومعايير وأخلاقيات..، في ظلّ الانفجار التكنواتصالي والمعرفي، في مجتمع يفتقر إلى أدنى أدوات قراءة الصّورة أو المشهد، أو نقد مضامينها، وتفكِيك رسائلها الظّاهرة والخفيّة، المشكّلة لآليّات "التّلاعب بالعقول" والقصْف الوسائطيّ المسؤول إجرائيًّا "بعنفه الرّمزي" عن جوانب من "بؤس العالم" كما حددها الدّرس البورديوزي. تلك الأدوات واجبة الإدراج ضمن مُقرّرات النّظام التّعليمي المُفتقر إلى مناهج التّربية على وسائل الإعلام ودراسات الصّورة... أزمة المشهد الإعلاميّ التونسي الانتقاليّ الحالي المنحازِ عن وعي أو عن غير وعي كلّياً إلى الكِبار ومشاغلهم، فضلاً عن معاملته النّاشئة معاملة البالغين وتغييب "أحلامهم الصّغيرة"، والأدهى في ذلك غياب قنوات تلفزيّة تعليميّة، أو محطّات تربويّة. بل الأخطر والأمرُّ هو انعدام نوايا الاستثمار العموميّ و/أو الخاصّ في إعلام تلفزي جادٍّ يأخذ في الاعتبار الحقوق الإعلاميّة والثّقافية والتّربوية للأجيال الصّاعدة وحاجياتهم الخصوصيّة وتمثّلاتهم للمستقبل كجماعة اجتماعية مختلف وذات خصوصيّة.ونحن نعتبر في هذا المستوى أن دراستنا هذه خطوة في فعل التّركيم البحثي، وواحدة بين الدراسات الاجتماعية والأبحاث الاتصالية المتفحصة لعلاقة الناشئة المتعلمة لجزء من الجمهور العام للنظارة والمشاهدين، وهي تنتهج بالضرورة أسلوب العينة المركبة،

ISSN: 2706-6495

بقصد جعل نتائج تحليلها وتفسيرات تلكم الدراسات منطلقا أكاديميا لعقد دراسات مقارنة وهو أمر ضروري لإظهار أوجه التشابه والاختلاف بين شتى العينات وبيئات دراستها، بما ييسر للمشتغلين في حقول الميديا والمجتمع ولا سيما التلفزيون فتح أبواب الحقائق والمآلات الجلية والخفية ليتحسّب لها القائم بالاتصال، ورجالات التعليم، ومشتغلو البيداغوجيا والتّعلّمية وصناع القرار والمحتوى الاتصالي والسياسي استفادة واستئناسا بها.

بيبليوغرافيا

١. الموسي (عصام سليمان)، المدخل في الاتصال الجماهيري، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، طبعة ٦ مزيدة ومنقحة، ٢٠٠٩، مكتبة الجامعة- الشارقة ، إثراء للنشر والتوزيع-عمان – الأردن.

٢. موسوعة المعرفة – شركة إنماء النشر والتسويق / مادة تلفزيون – جينيف، (١٩٨٧).

٣. الشّنّوفي(المنصف) وآخرون، دراسات إعلامية، ذات السلاسل الكويت، ١٩٩٥.

٤. مرجع اليونسكو لتدريس العلوم والتكنولوجيا خارج المدرسة – اليونسكو بيروت (١٩٨٦).

٥. فريحة (صابر) : النشرة الإخبارية لقناة (٢١) بين حدود الأداء والاستقبال: مذكرة شهادة الدراسات العليا في الصحافة: معهد الصحافة وعلوم الأخبار (IPSI)، تونس (١٩٩٧-١٩٩٨).

٦. رمضان (كفاية)، تربية الطفل من خلال وسائل الإعلام– مجلة الإعلام العربي / العدد (١٣-١٤) الألكسو– تونس (١٩٨٨).

٧. أبو زيد(فاروق)، **انهيار النظام الإعلامي الدولي**، دار عالم الكتب ،-٢٠٠٠.

٨. بو حديبه (عبد الوهاب)، ***لا فهم – فصول عن المجتمع و الدين***، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٩٢.

٩. صفوري (أمجد عمر) ، **" المدخل إلى الإذاعة والتلفزيون "** ، كلية الصحافة والإعلام - جامعة الزرقاء، الأردن، دت.

١٠. بن رمضان (يوسف)، ***"النشء وثقافة الصورة ثقافة المدرسة في المجتمع العربي المعاصر: العلاقات و الأدوار"*** ، المجلة التونسية لعلوم الاتصال العدد(٢٣)، تونس، جانفي- جوان(١٩٩٣).

١١. فريحة (صابر): ***النشرة الإخبارية لقناة ٢١ بين حدود الأداء و الاستقبال***، مذكرة شهادة الدراسات العليا في الصحافة (IPSI) (١٩٩٨).

١٢. الغربي (مراد): ***قناة الشباب في تونس قراءة في دوافع النشأة ومحاولة تقييميّة***، رسالة ختم الدروس الجامعية، (IPSI) (١٩٩٥).

١٣. فريحة (صابر): ***"الفضاء السمعي البصري في تونس من نظرية الاحتكار إلى واقع التّعدد والتّخصص"*** ، الشعب العدد ٨٨٤ تونس - ١٧-١٢-٢٠٠٥

١٤. حمدان (محمد): **مدخل إلى قانون الإعلام والاتصال في تونس** – منشورات معهد الصحافة وعلوم الإخبار – المطبعة الرسمية تونس ١٩٩٦.

١٥. شعري (ندى) : **تجربة قناة تلفزية خاصة بتونس : قناة الأفق نموذجا** – رسالة ختم الدروس الجامعيّة معهد الصحافة وعلوم الإخبار، تونس ١٩٩٣ – ١٩٩٤.

١٦. ***مؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية بالأرقام، وثيقة إدارية داخلية***، السنة المعتمدة ١٩٩٥.

ISSN: 2706-6495

١٧. مجلة الإذاعة والتلفزة التونسية العدد ١٩٩٦/١٢/٠٧..

١٨. إبراهم (وحيد)، مذكرة تربص **"البرامج الثقافية المحلية في قناة ٧**، شهادة الدراسات المتخصصة معهد الصحافة وعلوم الإخبار تونس ديسمبر ١٩٩٧.

١٩. برجي (فرحات) / غرس الله (فتحي)**: القناة التلفزية الثانية في تونس**، رسالة ختم الدروس الجامعية، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس ١٩٨٥.

٢٠. الأجنف (عماد): **قراءة في تجربة قناة تلفزية مغاربية**، رسالة ختم الدروس الجامعية، معهد الصحافة وعلوم الإخبار تونس ١٩٩٢-١٩٩٣.

٢١. الجراية (إلياس)**، قناة ٢١ في عيون الشباب المدرسي**، رسالة ختم الدروس الجامعية، المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي تونس ١٩٩٤-١٩٩٥.

٢٢. **مجلة الإذاعة و التلفزة التونسية، عدد ٥ نوفمبر ١٩٩٤**، عدد غير مرقم.

٢٣. فريحه (صابر)، **النشرة الإخبارية لقناة ٢١ بين حدود الأداء والاستقبال**، مذكرة شهادة الدراسات العليا في الصحافة، معهد الصحافة، IPSIجامعة تونس 1، تونس ١٩٩٧-١٩٩٨، ص ٦٨ .

٢٤. ***الموقع الرسمي لخمسينية التلفزة التونسية ١٩٦٦-٢٠١٦*** ، تاريخ التلفزة التونسية، http://www.watania2.tn/ ، اطلع عليه في مارس ٢٠١٦.

٢٥. **مقابلة مع السيد علي القريشي** مهندس رئيس كاهية مدير التقنيات التلفزية بمؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية، عمل ميداني للباحث المتدرب صابر فريحه، أوت ١٩٩٨.

جميع الحقوق محفوظة © 2020، الدكتور صابر فريحه، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي. (CC BY NC)